تفسير إبن كثير

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا

وقوله : (إذا رأتهم) أي : جهنم (من مكان بعيد) يعني : في مقام المحشر . قال السدي : من مسيرة مائة عام (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أي : حنقا عليهم ، كما قال تعالى : (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ) [الملك : 7 ، 8] أي : يكاد ينفصل بعضها من بعض; من شدة غيظها على من كفر باالله .قال ابن أبي حاتم : حدثنا إدريس بن حاتم بن الأخيف الواسطي : أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي ، عن أصبغ بن زيد ، عن خالد بن كثير ، عن خالد بن دريك ، عن رجل من أصحاب النبي صلى االله عليه وسلم قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " من يقل علي ما لم أقل ، أو ادعى إلى غير والديه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فليتبوأ [مقعده من النار " . وفي رواية : " فليتبوأ] بين عيني جهنم مقعدا " قيل : يا رسول االله ، وهل لها من عينين؟ قال : " أما سمعتم االله يقول : (إذا رأتهم من مكان بعيد) الآية .ورواه ابن جرير ، عن محمد بن خداش ، عن محمد بن يزيد الواسطي ، به .وقال أيضا : حدثنا أبي ، حدثنا علي بن

محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عيسى بن سليم ، عن أبي وائل قال : خرجنا مع عبد االله - يعني : ابن مسعود - ومعنا الربيع بن خثيم فمروا على حداد ، فقام عبد االله ينظر إلى حديدة في النار ، ونظر الربيع بن خثيم إليها فتمايل ليسقط ، فمر عبد االله على أتون على شاطئ الفرات ، فلما رآه عبد االله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا) فصعق - يعني : الربيع بن خثيم - فحملوه إلى أهل بيته ورابطه عبد االله إلى الظهر فلم يفق ، رضي االله عنه

.وحدثنا أبي : حدثنا عبد االله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إن العبد ليجر إلى النار ، فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشعير ، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف .هكذا رواه ابن أبي حاتم مختصرا ، وقد رواه الإمام أبو جعفر بن جرير :حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عبيد االله بن موسى ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إن الرجل ليجر إلى النار ، فتنزوي وتنقبض بعضها إلى بعض ، فيقول لها الرحمن : ما لك؟ قالت : إنه يستجير مني . فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليجر إلى النار ، فيقول : يا رب ، ما كان هذا الظن

بك؟ فيقول : فما كان ظنك؟ فيقول : أن تسعني رحمتك . فيقول : أرسلوا عبدي ، وإن الرجل ليجر إلى النار ، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير ، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف . وهذا إسناد صحيح .وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير في قوله : (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) قال : إن جهنم تزفر زفرة ، لا يبقى ملك ولا نبي إلا خر ترعد فرائصه ، حتى إن إبراهيم عليه السلام ، ليجثو على ركبتيه ويقول : رب ، لا أسألك اليوم إلا نفسي .